

المعالجات الإسلامية للتطرف الفكري

دراسة في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

م.د. حيدر فليح جبر

كلية التربية / جامعة ميسان

المستخلص:

جاء هذا البحث بصدد معالجة إشكالية ساهمت في تفكك المجتمع الإسلامي على المستوى الفكري تارة، والسلوكي تارة أخرى، جعل من الأمة الواحدة جماعات يكفر بعضهم البعض الآخر، ويقتل بعضهم البعض الآخر، وقد تمثلت هذه الإشكالية بالتطرف الفكري التي تعتقد به بعض الجماعات في مجتمعنا المعاصر، ولخطورتها وآثارها السلبية، حاول الباحث من خلال هذا البحث أن يبحث عن إيجاد طرق لمعالجتها، فلم يجد أفضل وأكمل من المعالجات الإسلامية التي تمثلت بروايات أهل البيت (عليهم السلام) دواء لهذا الداء، وقد لا يسع المجال لذكرها، ولذا سنقتصر على ذكر أبرزها وأهمها بما يسهم في معالجتها أو التقليل من آثارها وخطورتها، وقد جاء البحث في بيان مفهوم التطرف وأنواعه، وطرق معالجته، وفق المنهج الاستقرائي الوصفي تارة والتحليلي تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: التطرف الفكري، المعالجات الإسلامية، الروايات، أهل البيت (ع)

المبحث الأول: مفهوم التطرف

التطرف لغة مأخوذ من طرف، قال ابن منظور: "طرف كل شيء منتهاه أو جانبه أو ناحيته، فيقال: تطرفت الشمس أي: دنت للغروب، ويقال: تطرف الشيء أي: أخذ أطرافه والوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط"^١. ولذا يقال: تطرف يتطرف، تطرفاً، فهو متطرف، والمفعول متطرف. وتطرف الشيء: مطاوع طرف: أتى الطرف، أي منتهى الشيء، صار طرفاً (غصن متطرف) تطرفت الشمس: أي أوشكت أن تغرب. تطرف الشيء: أخذه من أطرافه (تطرف رغيفاً)^٢.

وعليه فالاستعمال اللغوي لكلمة (التطرف) يكون على معنيين^٣:

١ ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤، ٩/ ٢١٩.

٢ ينظر: أحمد مختار عبدالحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩، ٢/ ١٣٩٦.

٣ ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩-١٩٧٩م، ٣/ ٤٤٧.

الاول: حد الشيء.

والثاني: حركة الأعضاء.

والذي يهيم الباحث هو المعنى الاول، وهو حد الشيء، أو غايته ومنتهاه ، فالتطرف تفعل من الطرف وتجاوز الاعتدال.

وأما التطرف اصطلاحاً، فهو قريب من المعنى اللغوي ، ويعني الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، كالتطرف في الوقوف والجلوس، أو المشي، كالتطرف في الدين والفكر أو السلوك ، وإنه أقرب الى المهلكة و أبعد عن الحماية والامان^١.

وقيل في تعريفه أنه مبالغة في التمسك فكراً، أو سلوكاً، بجملة من الافكار قد تكون دينية، أو عقائدية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو أدبية، أو فنية، تشعر القائم بها بامتلاك الحقيقة المطلقة، وتخلق فجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي اليه، الامر الذي يؤدي الى غريته عن ذاته وعن الجماعة ويعوقه عن ممارسة التفاعلات المجتمعية التي تجعله فرداً منتجاً^٢.

ثم إن كلمة التطرف بما هي مصطلح تعتبر جديدة؛ لأن الاستعمال القديم لها هو الغلو، كما في الروايات والكتب السابقة، وعليه فيكون في ضوء ما تقدم، يمكن لنا استنباط مفهوماً اصطلاحياً للتطرف الفكري فهو المبالغة في الأمر، ومجازة حد الاعتدال في الفكر الديني وغيره، مع عدم اعتماد المناهج الفكرية، والمعرفية في تشخيص الحقائق، لذا فالتطرف بشكل عام يعني الخروج عن الدستور والقانون السائد.

وقد يكون يتبنى المتطرف أفكاراً غريبة ومنتشدة، بحيث يتهم غيره بالتكفير بناء عليها، مع ابتعاده عن مبدأ الوسطية والاعتدال .

المبحث الثاني: أنواع التطرف

يتضح من خلال تعريفنا للتطرف أنه عنوان عام تنطوي تحت مجموعة من العناوين التي يجعلها الخروج عن حد الاعتدال والتجاوز للمسموح به، شرعاً، أو قانوناً، أو عرفاً، ولذف إن أي تصرف خرج عن حد الاعتدال والوسطية التي يدعو لها الدين الإسلامي، يمثل صور من صور التطرف ، ونوع من أنواعه، وعليه يكون من أنواع التطرف، ما يلي:

أولاً: العنف:

١ ينظر: القرضاوي، محمد يوسف، الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف، دار الصحوة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣ - ١٩٩٢م ، ص ٢٧ . ظ: العين ، الفراهيدي، ١٥٧/٢، مقاييس اللغة، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، ١٥٨ /٤، لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، ٢٥٧ /٩، الصحاح، الجوهري(ت٣٩٨هـ)، ٩٥ /٤، مجمع البحرين، الطريحي(ت١٠٨٥هـ)، ١٠٤ /٥. ظ: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١١٢ /٢.

٢ ينظر: البرعي، وفاء محمد ، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية ، ط١ ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢م، ص ٢٥ .

يُعد من المفاهيم التي تستعمل ضد اللين والرفق، فكل أسلوب لا يتسم بذلك فهو أسلوب عنيف في اللغة والاصطلاح^١، ويعد القانون استعمالاً للقوة غير المشروعة لمنافاتها للقانون^٢، ولهذا يلزم العنف أحياناً الارتداد، والتكفير، واستباحة الأعراض والأموال والدماء، وجميع ذلك خروج عن حد المسموح به في الشرع والقانون والعرف، ولهذا كان العنف من أبشع صور التطرف، ولا سيما إذا ما تعلق بالفكر والسلوك؛ لماهضته لحقوق الإنسان وحرية في التعبير والمعتقد.

ثانياً: الغلو

الغلو لغة بمعنى الارتفاع عن الحد وتجاوزه، ويأتي أيضاً بمعنى التشدد في الدين وتجاوز حده إلى الإفراط، كما جاء ذلك وصفه في القرآن "لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ" ويقال للسهم غلو فيما إذا تجاوز أقصى حده^(٣)، ولهذا يقال للماء غلى ويوصف بالغيان إذا تجاوز حده^(٤). وعليه فالأصل اللغوي في الغلو هو تجاوز الحد وتعيده مطلقاً دينياً كان أم غير ديني.

وأما الغلو في الاصطلاح، فلا يختلف كثيراً عن معناه اللغوي، فإنهما يشتركان في إطلاق الغلو على تجاوز الحد، ولهذا سمي من يعتقد بالوهية الأئمة من آل بيت (عليهم السلام) بالغلاة، لتجاوزهم حد العبودية إلى الربوبية والألوهية، وهو في نظر علماء الشيعة كفر وخروج عن الإسلام والإيمان، وإن تظاهروا بالإسلام والإيمان^(٥)، فالغلاة هم كل من قال بالوهية أحد من الناس^(٦)، وهذا بنفس نمط من أنماط التطرف الديني والعقدي، لأنه تجاوز الحد المسموح به، وقد جاء النهي عنه في روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والتحذير منه، ومنها ما عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): "اتقوا الله، وعظموا الله، وعظموا رسول الله (ص) ولا تفضلوا على رسول الله (ص) أحداً، فإن الله تبارك وتعالى قد فضله، وأحبوا أهل بيت نبيكم حباً مقتصداً ولا تغلوا"^(٧)، وهنا نهى الإمام عن التجاوز على حد النبي ومقامه ومنزلته الرفيعة، وأن من تجاوز عليه، أو رفع غيره عليه فهو مغال ومتطرف، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك بقوله: "إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"^(٨). والروايات في هذا الباب كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

١- ينظر: العين ، الفراهيدي، ١٥٧/٢، مقاييس اللغة، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، ٤/ ١٥٨، لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، ٩/ ٢٥٧، الصحاح، الجوهري(ت٣٩٨هـ)، ٤/ ٩٥، مجمع البحرين، الطريحي(ت١٠٨٥هـ)، ٥/ ١٠٤. وكذا ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ١١٢.

٢- ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ١١٢.

٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٦٠.

٤- الراغب الاصفهاني، مفردات الراغب، ص ٦١٣.

٥- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ١٣١-١٣٢، نقلها عنه المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٤٥.

٦- المحقق الحلي، أبو القاسم جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام، ج ١، ص ١٢.

٧- الحميري البغدادي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، ص ١٢٩، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٦٩.

٨- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ١، ص ٢١٥، ص ٣٤٧.

ثالثاً: التعسف

التعسف في اللغة بمعنى الميل والعدول عن الجادة والطريق^(١)، ويطلق التعسف على الإنسان الظالم، فيقل له رجل متعسفر، والظلم هو تجاوز للحدود المسموح بها إلى غير المسموح بها شرعاً وقانوناً وعرفاً، ولهذا فالتعسف يتضمن المعنيين الميل والظلم بالتجاوز على الآخرين، وقد يستخدم التعسف في الحق، ولكن لا يقصد الحصول على الحق، بل للاضرار بالغير^(٢)، ومن هذه الجهة يدخل في باب التطرف والتجاوز.

رابعاً: الإرهاب

لا يقتصر الإرهاب على السلوك فقط، بل الإرهاب الفكري من أسوء وأقبح صورته، فالإرهاب يحمل طابعاً تطرفياً واضحاً وبيناً، لأنه ينطوي على سمات معينة تتجاوز كل الحدود والقيم والمبادئ التي عليها قوام الأمة والمجتمع في الفكر والسلوك، فهو انتهاك لسمات العقيدة والسلوك والأخلاق وجميع المبادئ الإنسانية والقيمية والحقوقية، فكما هو صورة من صور العنف البدني، فكذلك يكون صور من صور العنف السياسي، والعنف الفكري والعقدي، إثارته للربح والخوف والقلق في نفوس الناس، بالإضافة إلى ما يتضمنه من الاكراه على الشيء، والابتزاز ونحوها من صور ومظاهر العنف اللامشروع قانوناً وشرعاً وعرفاً، غايته التأثير على الآخرين للانصياع لأفكاره وسلوكياته واستراتيجياته الخاطئة^(٣).

خامساً: الإكراه

إن من صور التطرف وأنوعه أن يقوم المتطرف بإكراه غيره على سلوك ما، أو إجبار بالقيام بفعل أو الاعتقاد بأمر هو لا يرغب فيه، ولذا عرفه اللغويين بأنه حمل شخص على أمر هو لا يريده، كارهاً له^٤، وفي المصطلح الفقهي بأنه: "حمل العاقل على الفعل الشاق بالتخويف، أو على ترك الفعل على وجه يخرج عن داعيه الأصلي مع سقوط المدح والذم"^٥، ومثل هذا الفعل والسلوك من قبل المكره للمكره له فيه تجاوز للحدود والحقوق المشروعة، فلماذا يعد صورة من صور التطرف.

المبحث الثالث: أسباب وعوامل التطرف

هناك عدة أسباب للتطرف الفكري منها :

أولاً: الجهل

١- ينظر: ابن فارس: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩م، ج٤، ص٣١١؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٩، ص٢٤٥.

٢- الدريني: فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٨، ص٤٥.

٣- يراجع ما جاء في مضامين الندوة العلمية التي جاءت حول بيان أن (الإرهاب، أحد مظاهر استخدام العنف)، التي أقيمت في القاهرة في شباط ١٩٨٦م.

٤- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٣، ص٣٧٦. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٧٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٣، ص٥٣٤.

٥- المرتضى، الشريف المرتضى، رسائل المرتضى، ج٢، ص٢٦٣.

عرف الجهل بأنه: "تبيين المعلوم على خلاف ما هو به، ضد العلم"، أو أنه: "اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه في نفس الامر"، وقد قسم المفكرون والمناطقة والفلاسفة الجهل على قسمين: أحدهما: الجهل البسيط.

ثانيهما: الجهل المركب.

فالجهل البسيط الذي لا تركيب فيه، هو أن يجهل إنسان شيئاً، وهو مُطَّلَع على جهله، فهو يعلم بذلك الجهل، فليس في نفسه إلا جهل واحد بذلك الشيء. بخلاف الجهل المركب: الذي جاء في تعريفه بأنه: "خلو النفس عن العلم، وإذعانها بما هو خلاف الواقع، مع اعتقاد كونها عالمة بما هو الحق، فصاحبه لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم؛ ولذا سُمِّي مركباً".^٣

ومن هنا جاءت تسميته بـ(الجهل المركب)؛ لأنه مركب من جهلين، جهل بالواقع ونفس الأمر، و جهل بذلك الجهل، أي: إنه يتوهم كونه عالماً، والحال أنه جاهل لا علم له، فالجهل المركب عكس الجهل البسيط؛ لأنّ الجهل البسيط هو: أن يجهل الإنسان شيئاً وهو مُطَّلَع وعالم بجهله، وواقف على ذلك، أمّا في الجهل المركب، فهو غير ملتفت إلى جهله، بل يحسب أنه من أهل العلم بذلك.^٤

فالجهل منبعٌ وقاسمٌ مشتركٌ للكثير من الأمراض الفكرية والاجتماعية، بل لا توجد رذيلة ومنقصة إلا وللجهل منها الحصة الأكبر، فباب الجهل باب أوسع من أن تُحيط به مقالة في سطور. لكن أسوأ أوجه الجهل وأدنى أقسامه، وأبشع صورته هو الجهل المركب، بل هو الداء القاتل، والمرض العضال الذي أعىى المفكرين، وأتعب المرشدين حتّى وُسِمَ بأنه: "الداء العضال"، فكان الصخرة الصماء التي تكسّرت عندها أحلام المرشدين والمصلحين.

ثانياً: الفهم الخاطئ للنصوص الدينية

تحتاج النصوص الدينية إلى من لديه قدرة على فهمها، وقراءتها قراءة صحيحة، لأنّ الفهم الخاطئ، أو سوء الفهم ، يُعد من أخطر التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين؛ لأنه من أبرز العوامل التي تؤدي الى التطرف الفكري.

وسوء الفهم أو سوء التفاهم (بالإنجليزية: Misunderstanding) هو عدم قدرة فرد أو جماعة على تقدير الدوافع، أو الأسباب التي تدعو فرداً، أو جماعةً أخرى على إتيان سلوكٍ معينٍ في وقتٍ معينٍ، ونتيجةً لذلك الفهم الخاطئ تكون ردة الفعل على هذا السلوك في إتجاهٍ خاطئٍ لم يتخيَّله الطرف الآخر، ومن هذه الجهة عدّ

١- الحنبلي ، القاضي ابو يعلى ، العدة في اصول الفقه، ت: د احمد المباركى، ط ٢ ، ١٤١٠- ١٩٩٠م . ١ / ٨٢ .

٢ - الزركشي ، ابو عبدالله بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي ، ط ١ ، ١٤١٤- ١٩٩٤م، ١ / ١٠١ .

٣ - المظفر، محمد رضا ، المنطق ، / ١٩ ،

٤ - ينظر : المصدر نفسه/ ١٩ ،

٥- ينظر : الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org> .

الفهم الخاطئ أحد أسباب التطرف في الفكر والسلوك؛ لدلالاته على عدم قدرة الانسان في تقدير الدوافع والاسباب.

ثالثاً: العقدة النفسية والشعور بالنقص

هناك من يعاني من أمراض نفسية، وأساء وأخطر هذه الأمر هي الشعور بالنقص، وقد تحصل هذه نتيجة الكبت المتواصل لمشاعر تألفها النفوس (كالشعور بالاستعلاء والشعور بالذنب أو الغيرة أو الحقد أو الأنانية والشعور بالنقص والدونية)، ويجد الفرد نفسه عاجزاً عن إظهار هذه المشاعر بسبب الخوف من العقاب، أو الخجل من ردة فعل الآخرين تجاهها، أو يلجأ لطرق ملتوية لإفراغ مشاعره المكبوتة، ولكل فرد منا غرائز فطرية ومتطلبات نفسية، وإن التطرف والانحراف يكون بإرضاء هذه الغرائز^١، فالشعور بالنقص والعقدة النفسية يدفعان الانسان الجاهل الى ان يكون متطرفاً في فكره، أو سلوكه.

المبحث الرابع: المعالجات الاسلامية للتطرف الفكري

حاول علماء النفس والاجتماع والفكر أن يجدوا طرقاً وأساليب لمعالجة حالة التطرف، كما أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وضعوا حلولاً لمعالجة ظاهرة التطرف لدى البعض؛ لأنها ظاهرة اجتماعية سلبية، وتعد آفة اجتماعية خطيرة ولها آثار على الفرد والمجتمع والدين والعقيدة، ولهذا كان من بين أبرز وأهم تلك المعالجات الاسلامية لظاهرة التطرف الفكري، هي :

أولاً: العلم والمعرفة

لقد جعل الله سبحانه وتعالى للعلم مكانة عظيمة، وفضل كبير، وشرف أعلى، قال سبحانه في أول سورة أنزلها على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥١]، فقد جعله مفتاح بعثته ونور هدايته، فلو كان ثمة نعمة هي أعظم وأجل من نعمة العلم بعد الوجود، لما خصه الله تعالى بذلك، وقد ذكر الرازي في تفسيره، في وجه التناسب بين الآية المذكورة في صدر هذه السورة التي قد اشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق، وفي بعضها تعليمه ما لم يعلم، ليحصل النظم البديع في ترتيب آياته: إنه تعالى ذكر أول حال الإنسان، وهو كونه علقه، ووصله الله تعالى الى هذه الدرجة من العلم، وهذا إنما يدل على أن العلم له فضل عظيم، ومما يكشف عن عظيم فضله ومنزلته ما ورد في حصر الخشية بالعلماء، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٣٥] ، وفي هذه الآية الكريمة وغيرها أدلة كثيرة عن فضل العلم والعلماء، منها:

١- دلالتها على أن العلماء هم أهل الجنة؛ وذلك لأن العلماء من أهل الخشية، ومن كان من أهل الخشية كان من أهل الجنة، فالعلماء من أهل الجنة.

٢- قرن الله سبحانه وتعالى أولي العلم بنفسه وملائكته، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾. سورة آل عمران ، آية ١٨.

١ - ينظر : حلمي مراد ، مركب النقص والعقد النفسية، المؤسسة العربية الحديثة ، د.ط ٢٠٠٢ م / ٦٧ .

٣- إن الله تعالى يرفع مقامهم في درجات الكمال، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ سورة المجادلة : آية ١١. لما كان الكمال لا متناهي، خاطبه نبيه (صلى الله عليه وآله) بطلب الإستزاد من العلم لترقي به أعلى مراتب الكمال، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] .

٤- لا يقاس بأهل العلم بما هو ليس من أهله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فالقرآن الكريم يطرح قضية وجدانية يحكم فيها الوجدان وتحكم فيها الفطرة السليمة، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ شيء طبيعي أن وجدان الإنسان وفطرته تقول بأنه لا، لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فإذا كان هناك طريق مظلم فيه متاهات وعثرات، ورجل يمشي في الطريق ويديه مشعل من نور، ورجل آخر يمشي في الطريق بلا نور وبلا شيء يده ويهديه، فشيء طبيعي أن الذي يملك مشعلاً من نور سيتخطى الطريق بسلامة وبنجاة ويصل إلى غايته، وأما الذي يمشي في الطريق المظلم وفيه المتاهات والعثرات بلا نور وبلا دليل فسيختبط بمتاهاته وعثراته دون أن يصل إلى غايته، إذن القضية قضية وجدانية يحكم فيها الوجدان، وعلى هذا سائر الآيات القرآنية التي تحدثت عن عظمة العلم، إنما تتحدث بأسلوب وجداني يحكم به كل إنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

وأما الروايات الواردة في فضل العلم، فهي كثيرة نذكر ما يسع المجال بذكره منها:

١- ما جاء في فرض العلم على كل مسلم، قال خاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله): "طلب العلم فريضة على كل مسلم"^١.

٢- ما ورد من مقارنة أمير المؤمنين (عليه السلام) بين العلم والمال قائلاً لصاحبه: "يا كميل العلم خير من المال":

أ. العلم يحرسك، وأنت تحرس المال.

ب. والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

ج. والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق"^٢.

٣- ما ورد من مقارنة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بين العلم والعبادة، فقال: "باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً"^٣.

٤- ما دل على شرف العلم، كما جاء عن الامام علي (عليه السلام) قوله: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه

٥- من لا يحسنه، ويفرح به إذا انتسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يبرأ منه من هو فيه"^٤.

١- الشهيد الثاني، منية المريد، ص ٢٣.

٢- الشهيد الثاني، منية المريد، ص ٢٨.

٣- المصدر نفسه/ ٣٧ .

٤- المصدر نفسه/ ٢٨ .

ثالثاً: الإيمان

من المعالجات الاسلامية لظاهرة التطرف، ما جاء في التأكيد على الايمان بالله تعالى، والإيمان لغة مأخوذ من (أمن)، فإذا ما أخذ من الفعل الثلاثي المجرد استعمل ضد الخوف، قال تعالى: "وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا" [النور: ٥٥] وأما المزيد منه فالمقرون بالباء، أو اللام، يأتي بمعنى التصديق، كقوله سبحانه: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ" [البقرة: ٢٨٥] وقوله عزّ من قائل: "وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا" [يوسف: ١٧] و أما المتعدّي بنفسه فهو بمعنى ضدّ أخاف.

وقد استعمل الإيمان في الروايات والمصنفات الشيعية في المعنيين العام والخاص: فالمعنى العام، هو الإيمان بالقلب في الله تعالى، وفي جميع تعاليم نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، والمعنى الخاص، هو الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) والولاية عليهم بالإضافة إلى المعنى الأول^١، وفقاً لمعنى الإيمان الخاص يُعتبر جميع الشيعة من الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) مؤمنين^٢.

وقد اعتبر الشيخ مفيد في الإيمان تصديق القلب، وإقرار اللسان. وواقفه في الرأي الشافعي وهو عالم سني^٣. كما يعتقد بعض الإمامية، مثل: السيد مرتضى، والشيخ الطوسي، وابن ميثم البحراني، والفاضل المقداد، وعبد الرزاق لاهيجي^٤، أنّ الإيمان هو عمل القلب فقط، على اساس أنّ الإيمان هو إيمان بالله ورسوله والوحي، كذلك أنّ المؤمن من يعتقد في قلبه، وبالتالي فإنّ الإقرار باللسان ليس ضرورياً. وعليه فالإنسان المؤمن راسخة العقيدة لا يتصور فيه التطرف والغلو والانحراف، لأنه ثابت على الإيمان والاستقامة، يحب في الله ويكره في الله تعالى، وعندئذ يتجنب موارد التطرف الفكري والسلوكي.

رابعاً: العدل والانصاف

لو طبق العدل والأنصاف لما تجاوز أحد على أحد، ولاستقامت الرعية، ولأكلت من تحتها ومن فوقها، ولنزلت البركات ، وعاش الناس في أمن وأمان واستقرار، لأن العدل قوام كل شيء، وبالعدل يستقيم كل أعوجاج، فلا تطرف ولا تعدي ولا إرهاب ولا فوضى عارمة، وهذا ما تسعى له سموات في بعثتها للأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " (الحديد: ٢٥)؛ إذ من أهداف الانبياء وارسال الرسل هو إقامة العدل والحكم باقسط بين الناس، لأن به قوام حياتهم ومعاشهم ومعادهم،

١ - ينظر: معجم الفقه الفارسي "الإيمان"، ج ١، ص ٧٨٧.

٢ - الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٤ هـ. / ج ٥، ص ٣٣٧-٣٣٨.

٣ - الخميس، محمد عبد الرحمن، أصول الدين عند الإمام أبوحنيفة، رياض، دار الصميعي، ١٤١٦ هـ. ، ص ٤١.

٤ - السيد المرتضى، الذخيرة في علم الكلام، صص ٥٣٦-٥٣٧؛ البحراني، قواعد المرام في علم الكلام، ص ٢٧٠؛ الفاضل المقداد، إرشاد الطالبين، ص ٤٤٢؛ الفاضل المقداد، اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، ص ٤٤٠؛ اللاهيجي، مركز الإيمان، ص ١٦٥.

وقد يحتاج القائم به إلى استخدام القوة في ردع المنحرفين الخارجين عن القانون الموجبين لفوضى وعدم الأمن والاستقرار، ولهذا فإن "الرسالات السماوية كلها قد تكفلت لما به صلاح الناس، وفي خاتمتها شرع نبينا (صلى الله عليه وآله) وقد جعل الله الحديد والسلاح ضماناً لتنفيذ كتبه وموازينه وإقامة القسط والعدل ونصر رسله وبسط أحكامه"^١، كما جاء في ذيل الآية أنفة الذكر، حيث قال فيها: "وأزلنا الحديد فيه بأس شديد..الحديد: ٢٥. ولذا قيل: "أنزل الحديد ضماناً لإجراء ذلك، فيجب تحقيقه ولو بالكفاح المسلح، ويكون هذا القيام والكفاح نصراً لله"^٢، وقال أيضاً: "يظهر من الآية الشريفة أن من الأهداف الأساسية لبعث الرسل وإنزال الكتب ووضع الموازين المقررة هو القسط، وقد جعل الله الحديد والسلاح ضماناً لتنفيذها وإجرائها"^٣.

ومن هذا المنطلق يكون إقامة العدل والأنصاف وسيلة من وسائل معالجة التطرف والانحراف في الأمة، وإن استلزم ذلك الردع بالقوة، عندما لا تجدي الأساليب الأخرى في ردع هؤلاء الخارجين عن حد الاستقامة إلى حد التطرف والتجاوز على القيم والمبادئ والقوانين والأحكام الشرعية، فعندئذ لا يكون إلا باستخدام القوة حتى يقيئوا من غيهم ويرجعوا عن تطرفهم وانحرافهم.

النتائج النهائية:

اتضح من خلال بسط البحث عن أنواع التطرف وأسبابه، وطرق معالجتها، ولاسيما منها التطرف الفكري بالمعالجات الإسلامية، نقاط عدة:

١- إن جميع أنواع التطرف يلزمها حالة من العنف والتعسف والإرهاب والإكراه ولكن بدرجات متفاوتة، تختلف من نوع إلى آخر، ولذلك للأسباب الداعية لها، كالجهل، والفهم المغلوط للنصوص الدينية والحالات النفسية للشخص، أو للجماعة.

٢- نحتاج أحياناً لأجل درء مخاطر التطرف الفكري إلى استخدام القوة، وذلك في حال عدم جدوائية الطرق السلمية في ردع المتطرف؛ آثاره السلبية على المجتمع.

٣- لا يمكن أن يقتصر على جهة دون أخرى في محاربة التطرف الفكري، فكما أن المؤسسة التربوية والتعليمية منوطة بذلك، وكذلك المؤسسة الدينية، والمؤسسة الأمنية والقانونية، والمؤسسة الاجتماعية؛ لأن آثار المتطرف الفكري لا تقتصر على جهة دون أخرى، بل تمتد مخاطرها لجميع مؤسسات المجتمع برمتها.

١ - المنتظري، حسين، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، ٣١٠/٢.

٢ - المصدر نفسه، ٥٩٧/١.

٣ - المصدر نفسه، ١٨٥/٢.

التوصيات:

يرى الباحث:

١- إن من واجب جميع المؤسسات العمل على الأخذ بهذه المعالجات الإسلامية القائمة على أساس العلم والإيمان والعدل والأنصاف في مواجهة التطرف الفكري، كأفضل وسائل في وؤد التطرف الفكري قبل ظهورها واستفحاله وعندئذ يصعب السيطرة عليه، بالوسائل السلمية.

٢- على الجهات المعنية القيام بواجبها في الحد من التطرف الفكري ودرء مخاطره على المجتمع، وذلك من خلال تكثيف جهودها في العمل على كل ما من شأنه الحد من انتشاره في المجتمع، ولاسيما في الاساط العلمية والتربوية والدينية، من خلال إقامة المؤتمرات، والندوات، والمنشورات التوجيه والإرشادية.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

١. ابن زكريا، ابو الحسين احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٧٩م.
٢. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ.
٣. أحمد مختار عبدالحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط١ ، ١٤٢٩هـ.
٤. البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، قواعد المرام في علم الكلام، نشر مطبعة مهر، قم المقدسة، ط١ ، ٢٠١٦م.
٥. البرعي، وفاء محمد ، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية ، ط١، الاسكندرية ، ٢٠٠٢م.
٦. البغدادي، أحمد بن حنبل ، مسند أحمد، دار صادر ، بيروت، ط١. ب. تا.
٧. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار الكتب للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
٨. حلمي مراد ، مركب النقص والعقد النفسية، المؤسسة العربية الحديثة ، د. ط. ٢٠٠٢ م .
٩. الحميري البغدادي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم، ط١، ١٤١٣هـ.
١٠. الحنبلي، القاضي ابو يعلى ، العدة في اصول الفقه، ت: د احمد المباركي، ط٢ ، ١٤١٠ هـ.
١١. الخميس، محمد عبد الرحمن، أصول الدين عند الإمام أبوحنيفة، رياض، دار الصميعي، ١٤١٦ هـ..
١٢. الدريني: فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٨م.
١٣. الراغب الاصفهاني، مفردات الراغب، دار نشر الكتاب، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
١٤. الزركشي ، ابو عبدالله بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي ، ط١ ، ١٤١٤هـ.
١٥. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، منية المريد، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٦. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٤هـ.
١٧. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، ط١، ١٩٩٤م.
١٨. الطريحي، فخر الدين ، مجمع البحراني، مكتب النشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٩. الفاضل المقداد، إرشاد الطالبين، انتشارات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٠. الفاضل المقداد، اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، تحقيق ونشر مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط١، ب. تا.
٢١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٢٢. القرضاوي، محمد يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الصحوة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣هـ.
٢٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٢٤. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.
٢٥. المحقق الحلي، أبو القاسم جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام، انتشارات استقلال، طهران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٢٦. المرتضى، علم الهدى علي بن الحسين، رسائل المرتضى، دار القرآن، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٧. المرتضى، علم الهدى علي بن الحسين ، الذخيرة في علم الكلام، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة، ط١، ١٤١١هـ.
٢٨. المظفر، محمد رضا ، المنطق ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، ب. تا.
٢٩. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٠. المنظري، حسين، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، لمركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم المقدية، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٣١. الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org>.
٣٢. الندوة العلمية التي جاءت حول بيان أن (الإرهاب، أحد مظاهر استخدام العنف)، التي أقيمت في القاهرة في شباط ١٩٨٦م.